ابن الأثير رؤية اتابكية في الحروب الصليبية

م . م . حيدر خضير مراد

Ibn Al-Atheer a Radical Vision in the Crusade Wars

Abstract

Izziddin Ibn Al-Atheer (died 630AH/1232AD) is regarded one of the most important Arab Muslim historians who were classified from the stage of Crusade wars, for he presents through his two books "Al-Taareekh Al-Bahir fi Al-Dawla Al-Atabkia bil Mosul" and "Al-Kamel fi Al-Taarikh" a lot of information and a detailed description of the battles and war facts and realities led by the rulers of the Zanki house and Salahuddin Al-Ayyoubi against the Franks, he also describes the huge efforts exerted by all Muslims and Crusaders in term of preparations to the war operations and the two teams dying in fight .

Due to Ibn Al-Atheer and his family's relationship with the Zankis in Mosul and Jazeera, his information came glorifying and praising this family and criticizing its enemies. This was shown in his criticizing attitude against Salahuddin Al-Ayyoubi in his struggle with the Atabki of Sham and Mosul. The historian Ibn Al-Atheer was radical in his Atabki tendency, but we can say that he represents the radical Zanki view conversing the Ayyoubi view and its proponents of historians related to the relationship between the Zankis and Salahuddin and the vision of Crusade wars events and their ambiguities, yet he is considered an important source in describing the Crusade wars and narrating their events, and a main historian for that period of the Islamic history

الملخص

يعد عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) من أهم المؤرخين العرب المسلمين الذين صنفوا عن مرحلة الحروب الصليبية ، إذ يقدم من خلال كتابيه التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل والكامل في التاريخ معلومات جمة ووصف تفصيلي للمعارك والوقائع الحربيةالتي خاضها حكام البيت الزنكي وصلاح الدين الأيوبي ضد الإفرنج ، ويصف كذلك الجهود الضخمة التي كان يبذلها كل من المسلمين والصليبيين من ناحية الاستعدادات للعمليات الحربية واستماتة كل من الفريقين في القتال .وبحكم علاقة ابن الأثير وأسرته بالزنكيين في الموصل

والجزيرة فقد جاءت معلوماته تمجيداً لهذه الأسرة وثناءاً عليها ، ونقداً لأعدائها ، وظهر هذا من موقفه الناقد لصلاح الدين الأيوبي في صراعه مع اتابكة الشام والموصل ، فالمؤرخ ابن الأثير كان متطرفاً في نزعته الزنكية ، بل يمكن القول أنه كان يمثل وجهة النظر الزنكية الاتابكية المخالفة للوجهة الأيوبية ومؤيديها من المؤرخين ، فيما يخص العلاقة بين الزنكيين وصلاح الدين ورؤية أحداث الحروب الصليبية وملابساتها ، إلا أنه يعتبر مصدر مهم في وصف الحروب الصليبية وسرد أحداثها ، ومؤرخاً رئيسياً لتلك الحقبة من التاريخ الإسلامي .

المقدمة

يتمحور هذا البحث حول شخصية المؤرخ عز الدين ابن الأثير ورؤيته الاتابكية في الحروب الصليبية .

وهو بحث ذو أهمية خاصة لأن ابن الأثير الجزري يعد من أهم المؤرخين العرب المسلمين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية وتناولوا أحداثها وملابساتها فقد كتب عن حقبة الحروب الصليبية منذ دخول الصليبيين المشرق الإسلامي في سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م حتى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣٠ م ، ويعتبر ابن الأثير شاهد عيان معاصر لأحداث بعض المعارك مع الصليبيين من خلال مصاحبته لصلاح الدين في غزواته وهو ما يسر له وصف المعارك كما شاهدها ، كما أن ابن الأثير يمثل وجهة النظر الزنكية المخالفة لوجهة النظر الأيوبية ومن يؤيدها من المؤرخين ، ولم يكن ابن الأثير في كتابيه مجرد ناقل أخبار أو مسجل أحداث فحسب وإنما كان محللاً ممتازاً وناقداً بصيراً حرص على تعليل بعض الظواهر التاريخية الأمر الذي يجعله من أهم المصادر عن الحروب الصليبية والمؤرخ الرئيسي لتلك الحقبة الزمنية .

وسنتناول في هذه الدراسة السيرة الذاتية للمؤرخ ابن الأثير وعلاقته بأسرة الاتابكة الزنكيين حكام الموصل ووصفه لعماد الدين زنكي وجهاده وحروبه ضد الصليبيين ووصفه لنور الدين محمود وجهاده ضد الإفرنج ومن ثم وصف ابن الأثير لمعركة حطين وفتح مدينة القدس على يد القائد صلاح الدين الأيوبي ، ونحاول أن نحلل على وجه الخصوص موقف ابن الأثير من صلاح الدين وسياسته وأعماله .

أولاً : سيرة المؤرخ ابن الأثير

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الأشعري الشافعي ، المعروف بابن الأثير الجزري ، الملقب عز الدين (١) .

وكان لقبه عز الدين أخذه جرياً على عاده عصره ، إذ كان الأشخاص المرموقون من علية القوم وخاصتهم يحظون بألقاب اعتبرت علامة من علامات التقدير الاجتماعي الكبيرة ، وأما ابن الأثير فنسبة الى والده الذي لقب بأثير الدين أو الأثير اختصاراً (٢) ، والذي كان أثيراً عند الاتابك قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل (٣) (ت ٥٦٥ هـ / ١١٧٠م) وشقيق الأتابك نور الدين محمود (٤) صاحب الشام وحلب (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤م) ، وهذه الأثرة عنده جعلته يتبوأ مناصب عالية في مملكته أبرزها عاملاً على جزيرة ابن عمر ومتولي ديوان الخراج فيها (٥) . ولد عز الدين ابن الأثير في جزيرة ابن عمر (٦) ، أحدى مدن ديار ربيعة بالجزيرة الفراتية ، في رابع جمادي الأولى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م ، وقد جاء لقبه بالجزري نسبة الى هذه الجزيرة(٧) ، وهو الابن الأوسط لأثير الدين وأحد ثلاثة أخوة (٨) نسبوا الى والدهم أثير الدين الجزري ، المتحدر من أسرة عربية الأصل تنتمي الى بني شيبان أحد بطون بكر بن وائل

العربية ، وهي أسرة غنية كانت تمتلك عقارات واقطاعات وشغل أفرادها مناصب حكومية عالية(٩) .
بدأ عز الدين ابن الأثير طفولته كغيره من الأطفال والصبيان في عصره ، في الجلوس الى مقاعد الدراسة في كتاتيب جزيرة ابن عمر ومدارسها ، لأخذ مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الأخرى ، وأكمل دراسته في الموصل التي كانت المكان الذي كوّن فيه ميوله الثقافية ، ولكن
هذا لايعني انه المكان الوحيد بل ارتحل الى دمشق وحلب ومكة والقدس(١٠) لطلب العلم ، وقد درس على عدد من الشيوخ الذين كان لهم الفضل في تكوين شخصيته الفكرية (١١) .
لقد احتل ابن الأثير مكانة علمية كبيرة ، وأشاد به من جاء بعده من المؤرخين ، وشهد معاصروه من كبار المؤرخين والمؤلفين بالجوانب المتعددة التي احتوتها معرفته (١٢) ، وكان لترحاله وتنقله بين الموصل وبغداد وحلب ودمشق أثر في تكوينه الفكري والثقافي ، نظراً لأن هذه المدن كانت في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، مراكز للعلم والمعرفة فهي تعج بالعلم والعلماء والأدباء والفقهاء والقراء والحفاظ والنحاة وغيرهم ، وبالتالي فإن هذه الثقافة انعكست على كتابات عز الدين ابن الأثير من خلال مسارين هما : الحديث والتاريخ مع ملاحظة أن المسار التاريخي كان لديه أبلغ وأوضح (١٣) ، فقد ترك ابن الأثير في المكتبة التاريخية الإسلامية أربع كتب هي : الكامل في التاريخ ، والتاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، واللباب في تهذيب الأنساب (١٤) ، أما بالنسبة لوفاته فقد كانت في شعبان سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م بالموصل (١٥) .

ابن الأثير والأسرة الزنكية

عاش عز الدين ابن الأثير في الموصل التي هي مركز الدولة الاتابكية وكان أبوه أثير الدين موظفاً عند الزنكيين الذين أغدقوا عليه بكرمهم ورعايتهم ، فكان ربيب نعمتهم ويحفظ لهم الفضل ، ويدين لهم بالولاء ، ويعترف بأياديهم البيض عليه وهو كما عبر أبنه عز الدين : رواية حسناتهم ، وعين الخبر بحركاتهم وسكناتهم " (١٦) ، ويبدو من روايات عز الدين أن أباه أثير الدين كان صاحب حظوة لدى عماد الدين زنكي عميد الأسرة الزنكية الحاكمة بالموصل ، فكان يستشيره ويتصل به حين يلم بجزيرة ابن عمر متفقداً بل وكان يستدعيه – كما فعل سنة ٥٤١ هـ حين كان يحاصر قلعة جعبر (١٧) – ليأخذ رأيه في شؤون أدارية وعسكرية (١٨)
وبعد وفاة عماد الدين زنكي ، حفظ اتابكة الموصل (خلفاء عماد الدين زنكي) لأثير الدين أخلاصه وولاءه فأبقوه في مركزه ، بل أن قطب الدين مودود الذي حكم بين سنة ٥٤٤ – ٥٦٥هـ ، أولاه ثقته واعتمد على حنكته وخبرته في شؤون جزيرة ابن عمر ، فكان نائباً على ديوانها(١٩).
ومن ذلك يبدو أن أسرة ابن الأثير تمتعت بكرم وأحسان الأسرة الزنكية الحاكمة في الموصل مما أدى الى توثيق العلاقة بينهما ، لذلك قام ابن الأثير بتأليف كتاب سماه (الباهر) في عام ٦٠٨هـ / ١٢١٢ م في عهد الملك القاهر مسعود حاكم الموصل (٦٠٧ – ٦١٥ هـ / ١٢١١ – ١٢١٨ م) (٢٠) ، وفاءً منه للأسرة الزنكية وإشادة بأفرادها من ملوك الموصل الذين رعوا أسرة الأثير وأحسنوا إليها (٢١) .
وبحكم هذه العلاقة فقد جاءت معلوماته ، تمجيداً لهذه الأسرة وثناءاً عليها ، ونقداً لإعدائها ، وظهر هذا من موقفه الناقد لصلاح الدين في صراعه مع اتابكة الشام والموصل ، وكانت مواقفه هذه مكان انتقاد كثير من المؤرخين ، إذ يصفه سهيل زكار بأنه : " حرم صلاح الدين من الثناء أن لم نقل انتقد أفعاله " (٢٢) ، كما وصف هاملتون جب

تفسيرات ابن الأثير للأوضاع في عهد صلاح الدين بأنها ماكرة (٢٣) ، وذهب المؤرخ الفرنسي (سيفان sivan) الى أبعد من ذلك حين رأى أن ظهور إمارة الموصل وبصفة أساسية عماد الدين زنكي بمظهر المقاوم الأكبر يعود ، في جزء كبير منه ، الى ابن الأثير الذي أراد أن يظهره بهذا المستوى ، في حين أنه كان في الساحة مقاومين كثر لكنهم لم يحظوا بمؤرخ تابع لهم كأبن الأثير ، وبذلك ظهروا بمستوى المقاومين الثانويين (٢٤) .

ومن هذا يبدو أن ابن الأثير كان متطرفاً في نزعته الزنكية بل يمكن القول أنهُ كان يمثل وجهة النظر الزنكية الجزرية المخالفة للوجهة الأيوبية ، فيما يخص العلاقة بين الزنكيين وصلاح الدين ورؤية أحداث الحروب الصليبية وملابساتها .

كما أبدع ابن الأثير في وصف المعارك التي دارت بين الصليبين وبين كل من عماد الدين زنكي (٢٥) وابنه نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي (٢٦) وإبراز الجهود الضخمة التي كان يبذلها كل من المسلمين والصليبين من ناحية الاستعدادات للعمليات الحربية واستماتة كل من الفريقين في القتال (٢٧) .

وقد استعان في تدوين الفترة التي لم يعاصر منها الحروب الصليبية بالعماد الأصفهاني والمؤرخين الذين عاصروها ممن سبقوه كابن القلانسي وابن شداد وغيرهما ، وقد قام ابن الأثير بتقسيم الحملات الصليبية على المشرق العربي الاسلامي الى خمس حملات عسكرية في كتابه الكامل في التاريخ ومن ضمنها الحملة الرابعة التي استهدفت في الاساس المشرق الاسلامي لكنها تحولت الى القسطنطينية (٢٨) .

وبالتالي يعد ابن الأثير من أهم المؤرخين العرب المسلمين الذين كتبوا عن حقبة الحروب الصليبية منذ دخول الصليبيين المشرق الاسلامي في سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م حتى وفاته في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م ، كما أنه يعتبر شاهد عيان معاصر لأحداث بعض المعارك والوقائع الحربية مع الصليبيين من خلال مصاحبته لصلاح الدين في بعض غزواته كمجاهد مسلم في جند الموصل تحت راية صلاح الدين ، وهو ما يسر له وصف المعارك كما شاهدها وقد امتاز في كتابه الكامل بحسن الاطلاع والرؤية الدقيقة الفاحصة للأحداث التي عاصرها ، لذلك لا يوجد من بين المعاصرين له من يستطيع ان يضارعه في وفرة معلوماته التي يقدمها عن تلك الحروب وتفاصيلها وملابساتها من خلال مصنفه الكامل في التاريخ (٢٩) .

وصف أبن الأثير لتأسيس الدولة الاتابكية وجهود عماد الدين زنكي وخلفائه في مواجهة الصليبيين

١ – تأسيس الدولة الاتابكية

تعد الاتابكية الزنكية من أكبر الاتابكيات قاطبة وأهمها من حيث دورها الذي لعبته في تاريخ المنطقة ، خاصة خلال موقفها العسكري تجاه الإفرنج ومقاومتها لهم ومحاولتها اقتلاع كيانهم وحصونهم في بلاد الشام ، لقد جاءت تسمية هذه الاتابكية بالزنكية نسبة الى مؤسسها عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، الذي وّلَيَ الموصل سنة ٥٢١ هـ من السلطان محمود السلجوقي(٣٠) الذي جعله ايضاً اتابكاً (٣١) لولديه ومن هنا حصلت تسميته بالاتابك وتسمية سلالته بالاتابكة (٣٢) .

قال ابن الأثير : " في شهر رمضان من سنة ٥٢١ هـ ، تولى عماد الدين زنكي بن آق سنقر الموصل وديار الجزيرة ونصيبين ... " (٣٣) . ويبدو أن السبب وراء تعيين عماد الدين زنكي هو تعاظم خطر الصليبيين في بلاد الشام ، يقول ابن الأثير عن ذلك : " ... ولابد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها"(٣٤) ، وقد عينه السلطان السلجوقي – كما يقول ابن الأثير : " لما

يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها " (٣٥) .
وقد جعل عماد الدين زنكي نصب عينيه مسألة مقاتلة الافرنج والتخطيط لها منذ اللحظة الأولى لتكليفه (٣٦) ، وأثبت بأنه أداري وعسكري وحاكم ذو مؤهلات عالية ، فقد أفلح في تنظيم شؤون اتابكيته الإدارية ، وخلق قوة عسكرية كفوءة استطاع بها أن يكون جبهة أسلامية قادرة على التصدي للصليبيين ، ومن ثم اعلان الجهاد المقدس ضدهم (٣٧) .

٢ – جهود عماد الدين زنكي وخلفائه في مواجهة الصليبيين

لم يكن عماد الدين زنكي مجهولاً قبل أن يولى على الموصل ، ولم يكن كذلك جاهلاً بالإحداث القائمة والجارية في المنطقة قبل ذلك ، فمنذ مقتل والده ، الذي كان عنصراً مشاركاً في الأحداث ايضاً ، قام بعض أمراء والده وأصحابه المخلصين بتربيته وتقديمه في مجال الخدمة العسكرية ، وقد وجد سلاطين سلاجقة العراق في رعايته عرفاناً لفضل والده ووفائه لهم ، فتقدم لدى ولاة الموصل وعمل لديهم بين السنوات (٥٠٥ – ٥١٤ هـ) وشاركهم في حروبهم ضد الصليبيين ، تلك الحروب التي قامت بإيعاز من السلطان محمد السلجوقي وقامت الموصل فيها بالدور القيادي وخلال معارك متعددة مع الافرنج حول مدينة الرها (٣٨) وتل باشر (٣٩) ومعرة النعمان (٤٠) وغيرها من مدن الشام ، أثبت زنكي حضوراً وشجاعة أشار إليها المؤرخون وأشادوا بها (٤١) .

وعندما تولى الموصل سنة ٥٢١ هـ ، كانت أمور بلاد الجزيرة والشام وما جاورها سيئة جداً ، فقد كانت الأمارات الصغيرة مختلفة مع بعضها متصارعة طوال الوقت كما أن الافرنج كانوا قد تركوا اثاراً سلبية كثيرة في المنطقة بأكملها بما خلقوه فيها من فوضى وقطعوه من طرق مواصلات وتجارة ونهبوه من مزارع وحقول وزرعوه من رعب بين سكان مدن وأرياف المنطقة ، وعن ذلك يقول ابن الأثير : " ... وكانت مملكة الفرنج حينئذ قد امتدت من ناحية ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخللها من ولاية المسلمين غير حلب وحمص وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى أمد (٤٢) ... ومن ديار الجزيرة الى نصيبين (٤٣) ورأس العين (٤٤) ... وأما الرقة (٤٥) وحران (٤٦) فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار ... وانقطعت الطرق الى دمشق .. فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب المفازة تعباً ومشقة ونصباً ... وأما حلب فأنهم اخذوا أعمالها مناصفة ..وأما باقي بلاد الشام فكان حالها أشد من هذين البلدين" (٤٧).

أدرك عماد الدين زنكي أن التفكك السياسي ، ووجود عدد كبير من الأمارات الصغيرة المستقلة ذاتياً والمنطوية على نفسها ، هما العائق الرئيس دون الزحف الناجح على الشام لطرد الصليبيين ، مما كان منه إلا أن شمر عن ساعد الجد ، واستولى على هذه الكيانات الضعيفة في أقليم الجزيرة فانفتح الطريق أمامه الى الشام (٤٨) ، فقام في سنة توليه الموصل بفرض سيطرته على جزيرة ابن عمر ثم نصيبين وسنجار كما امتلك حران بعد أن راسله أهلها للقدوم إليهم وتملك بلدهم وحفظها معهم من خطر الصليبيين (٤٩)

وبعد هذا وعندما لاحظ عماد الدين أنه بدأ يقترب من معاقل الصليبيين في محاولته لتوحيد الجبهة الاسلامية فأنه لجأ الى عملية حكيمة ، أرسل الى جوسلين الأرمني صاحب الرها وغيرها من البلاد التي بيد الفرنج بالجزيرة وهادنه مدة يسيرة (٥٠) ، وهي سنتين ، وقد قبل جوسلين الهدنة لأنه نفسه كان يعاني من مشاكل داخلية واضطرابات كحال جميع أمارات الصليبيين التي بدأت تفتتها الاختلافات والمنافسات (٥١) ، التي أحسن عماد الدين استغلالها بعد أن أدرك أبعادها وعرف دقائقها لقد استفاد عماد الدين زنكي من الهدنة كثيراً فقد كان يعلم انه يفرغ فيها من الاستيلاء

على مابقي له من البلاد الشامية والجزرية وإصلاح شأنها ، والفراغ من إقطاع بلادها لجند يختبرهم ويعرف نصحهم وشجاعتهم (٥٢) ، وفعلاً فأنه خلال هذه الفترة حقق نجاحاً كبيراً بسيطرته على حلب وضمها لممتلكاته سنة ٥٢٢ هـ (٥٣) ، وبعد أن أتم عماد الدين زنكي معظم هذه الانجازات ، وبعد انتهاء أمر الهدنة ٥٢٤ ــ ٥٢٥ هـ وحتى حلول سنة ٥٣٩ هـ فأن عماد الدين أنصرف الى فتح بعض الحصون الصليبية المهمة كحصن الاثارب (٥٤) ، وذلك بعد أن انتصر على التجمع الصليبي الكبير الذي قام ضده سنة ٥٢٥ هـ ، ويصف ابن الأثير فتح ذلك الحصن قائلاً : " وتأهب عماد الدين زنكي للقائهم ، وسار الى تلقائهم ، فلم يبعد حتى وافاهم ولم يغب الحصن عنه حتى أتاهم ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، وأشتد الطعن والضرب بين الطائفتين ، وحمى الشهيد (٥٥) للإسلام وانتصر ولبس لأعدائه جلد النمر ، وصال عليهم وزأر وقال لهم ذوقوا من سقر ، وظل يوسعهم بحملاته حطماً ، ويستأصل أركانهم هدماً ، ... ثم أن الله تعالى أنزل نصره على المسلمين فظفروا وأنهزم الفرنج أقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الأسر وقتل منهم خلق كثير ... فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكاً وبقى الى الآن خراباً " (٥٦) .

ومن هذا يتضح أن ابن الأثير يصف المعارك التي خاضها عماد الدين زنكي بشكل تفصيلي ودقيق وبأسلوب أدبي رائع ، ويكثر من المديح له ويسميه بالشهيد .

ويبدو أن عماد الدين زنكي بعد أن وحد معظم الجبهة العربية الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة وبعد أن أستعاد الكثير من الحصون والمواقع الصليبية فكر بفتح كبرى المدن المحتلة من الصليبيين ولاسيما الرها ، أقرب الإمارات الصليبية إليه وأكثرها خطورة ، وذلك لقربها من العراق ، ولقوة تحصيناتها ، ولما كانت تسببه للمناطق الاسلامية المجاورة من أخطار لاتقف عند حدٍ ، إذ أن غارات فرسانها كانت تبلغ آمد وماردين ونصيبين ورأس عين والرقة ، فضلاً عن هذه الإمارة كانت تشكل عائقاً أمام زنكي ضد تحقيق الوحدة بين البلاد الشامية والجزرية بسبب تدخلها الى جانب اعدائه ضده وتهديدها لخطوط المواصلات التجارية (٥٧) .

ولهذا كله قام عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م بالتوجه الى الرها وعمد الى خداع ملكها جوسلين الثاني بأن أوحى له بأن وجهته هي غير الرها ، يقول ابن الأثير عن ذلك : "وكان أتابك (٥٨) يعلم أنه متى قصد حصرها اجتمع فيها من الفرنج من يمنعها ، فيتعذر عليه ملكها ، لما هي عليه من الحصانة فاشتغل بديار بكر ليوهم الفرنج أنه غير متفرغ الى قصد بلادهم ، فلما رأوه غير قادر على ترك الأرتقية (٥٩) ، وغيرهم من ملوك ديار بكر حيث انه محارب لهم اطمأنوا ، وفارق جوسلين الرها وعبر الفرات الى بلاد الغربية ، فجاءت عيون أتابك إليه ، فأخبروه الخبر " (٦٠) ، عندئذٍ عاد عماد الدين زنكي إليها مسرعاً بعد أن استنفر كل قواته وقوات المناطق المجاورة للرها وحاصرها لمدة ثمانية وعشرون يوماً انتهت بفتح المدينة وسقوط أولى الإمارات الصليبية في الشرق (٦١) ، في يوم السبت ٢٥ / جمادي الآخرة سنة ٥٣٩ هـ (٦٢).

لقد كان لسقوط أمارة الرها الصليبية أهمية بالغة ، فقد أعطى ذلك المسلمين ثقة كبيرة بإمكانية مجابهة الصليبيين مجابهة فعالة وانتزاع حصونهم منهم ، فضلاً عن أن القضاء على هذه الإمارة فتح الطرق الممتدة بين أسيا الصغرى والعراق وبلاد الشام التي كان الافرنج قد قطعوها أو هددوها ، كما أن هذا الحدث نبه الصليبيين الى خطورة موقفهم

ودفعهم للإسراع الى دعوة حملة عسكرية جديدة من أوربا (٦٣) .

وقد مهد عماد الدين زنكي بعمله هذا الطريق من بعده لابنه نور الدين محمود لكي يتم المهمة التي قام هو بحمل أعبائها خير قيام حتى مقتله سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م وهو محاصر لقلعة جعبر (٦٤) . وقد فصل ابن الأثير أخبار نور الدين محمود (٥٤١ – ٥٦٩ هـ) ، فذكر استيلاءه على حلب بعد وفاة أبيه (٦٥) ، وجهاده للصليبيين ، واسترداده بعض البلاد الاسلامية منهم(٦٦) ، كذلك ذكر استيلاءه على دمشق سنة ٥٤٩ هـ (٦٧) ، ومصر سنة ٥٦٤ هـ (٦٨) ، والموصل سنة ٥٦٦ هـ (٦٩) . كذلك تحدث عن الخلاف الذي نشب بين نور الدين وصلاح الدين بعد أن حل صلاح الدين الأيوبي محل عمه أسد الدين شيركوه في مصر ، لاختلاف وجهات النظر بينهما في حرب الصليبيين (٧٠).

ثم ذكر ابن الأثير أزمة الاستخلاف التي حدثت في البيت الزنكي بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ ، بسبب صغر سن الصالح إسماعيل ، الابن الوحيد لنور الدين ، والتي آلت الدولة بسببها الى صلاح الدين الأيوبي ، ماعدا الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر (٧١) .

ومما سبق يتبين أن ابن الأثير كان يسمي الصليبيين باسم الفرنج ولم يطلق عليهم اسم الصليبيين ، وقد استخدم هذا التعبير لكي يميز الصليبيين عن باقي أبناء الديانة المسيحية إذ كان يسميهم بالنصارى ، فأطلق اسم النصارى على كل من يدين بالنصرانية في المشرق الإسلامي بينما أطلق اسم الفرنج على كل النصارى القادمين من الغرب لمساندة نصارى المشرق في حربهم للمسلمين .

وأتضح ايضاً أن ابن الأثير كان يصف المعارك والمواجهات التي تحصل بين الفرنج والمسلمين بشكل تفصيلي ودقيق ، ويكثر من مديح عماد الدين زنكي والثناء عليه إذ صوره بصورة بطل الإسلام والعروبة الذي هيئته الأقدار لكي يواجه الصليبيين ويوقفهم عند حدهم ، ولايستغرب ذلك لأن ابن الأثير وأسرته عاشوا في كنف ورعاية الأسرة الزنكية الحاكمة وتمتعوا بعطفها وعنايتها ، ولكن كان المؤرخ ابن الأثير محقاً الى حد بعيد في وصفه عماد الدين زنكي وجهاده لاسيما وأنه القائد الوحيد الذي تمكن في تلك المرحلة من الانقسام والتفكك السياسي من معالجة حالة القلق وعدم الاستقرار الذي كان يسود مناطق الشام والجزيرة في أعقاب سقوط مملكة تتش السلجوقية وظهور الافرنج وذلك عن طريق تأسيس الدولة الاتابكية وتوحيد الإمارات والمقاطعات المتنازعة تحت سلطته وبذلك حقق الوحدة السياسية النسبية المطلوبة لمواجهة الصليبيين وقاد حرب الجهاد المقدس ضدهم .

وصف ابن الأثير لمعركة حطين وفتح القدس بحلول سنة ٥٨٢ هـ شعر صلاح الدين الأيوبي بأنه قد استكمل وحدة بلاده وبأنه لم يبقَ له إلا أن يسير الى الجهاد ضد الصليبيين جهاداً حاسماً فاستدعى عساكره من سائر إنحاء الدولة وذلك للتوجه بها الى حطين (٧٢) ، وتجمعت الجيوش من إنحاء الدولة الأيوبية المختلفة أثر استدعاء صلاح الدين لها والتقت في عشترا – وهو موضع بحوران من أعمال دمشق – وذلك في ربيع الثاني سنة ٥٨٣ هـ وبلغ عدد جمعهم الأولي اثني عشر الفاً ، رتبهم صلاح الدين وسار بهم يقصد مقابلة الفرنج ، وسارع الصليبيون بدورهم فجمعوا قواتهم من الإمارات الساحلية والأطراف فبلغ عددهم قرابة خمسين الفاً (٧٣) .

التقى الجيشان عند حطين الى الغرب من طبرية في يوم السبت ٢٥ ربيع الآخر / ٢ تموز ، وقد قام صلاح الدين بجعل بحيرة طبرية وراء جيشه بحيث يمنع الافرنج عن ورود الماء ، علماً بأن اللقاء كان في موسم الصيف كما أنه أمر بحرق الأحراش المحيطة بمعسكر الصليبيين بعد أن حسب حساب الريح

التي سوف تأخذ اللهب والدخان معها باتجاه العدو ، ويصف ابن الأثير هذه المعركة قائلاً : " فاجتمع على الفرنج العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال ... وأصبح صلاح الدين والمسلمون يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر ، فركبوا وتقدموا الى الفرنج ، فركب الفرنج ، ودنا بعضهم من بعض إلا أن الفرنج قد أشتد بهم العطش ، وانخذلوا ، فاقتتلوا واشتد القتال ، وصبر الفريقان ، ورمى جاليشية (٧٤) المسلمين من النشاب ماكان كالجراد المنتشر ، فقتلوا من خيول الفرنج كثيراً هذا القتال بينهم ، ... وكثر القتل والأسر في الفرنج ، فكان من يرى القتلى لايظن أنهم أسروا واحداً ، ومن يرى الأسرى لايظن أنهم قتلوا أحداً ، وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة أحدى وتسعين وأربعمائة الى الآن بمثل هذه الوقعة " (٧٥) .

أن انتصار صلاح الدين أضعف الصليبيين كثيراً وقضى على معظم قواتهم فكان لابد لهم من استدعاء قوات جديدة من الغرب إذا ما فكروا بالبقاء على أرض الشام فأرسلوا يطلبون النجدات من أوربا ، وفي هذه الإثناء تمكن صلاح الدين من دخول قلب فلسطين وفتح الكثير من الأماكن فيها وحررها من الافرنج كعكا وقيسارية وحيفا وعسقلان وغيرها (٧٦) ، ثم قصد بيت المقدس ، وهناك عرض على الصليبيين السلم كعادته دائماً في معاملة اعدائه ، ولكنهم رفضوا فحاصر المدينة وبدأ بضربها بالمنجنيقات في رجب سنة ٥٨٣ هـ الى أن اضطر أهلها الى الاستسلام في النهاية بعد أن ساهم في الحط من معنوياتهم صراعاتهم المذهبية والخوف الذي تركته انتصارات صلاح الدين تلك السنة في حطين وغيرها من البقاع ، وسُلِمت المدينة الى المسلمين يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وكان يوماً مشهوداً ورفعت الاعلام الاسلامية على أسوارها بعد قرابة تسعين عاماً من الاحتلال الصليبي (٧٧) .

ويعبر ابن الأثير عن فرحته العارمة بتحرير بيت المقدس واسترجاعه من الفرنج قائلاً : "فعاد الإسلام هناك غضاً طرياً ، وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب ، غير صلاح الدين ، وكفاه ذلك فخراً وشرفاً " (٧٨) .

الخلاصة

تبين لنا من خلال هذا البحث ما يأتي :

١ – أن ابن الأثير يعد من أهم المؤرخين الذين صنفوا عن مرحلة الحروب الصليبية ، ويقدم من خلال كتابيه التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل والكامل في التاريخ معلومات كثيرة ووصف تفصيلي للمعارك والوقائع الحربية التي خاضها عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين ، ويصف كذلك الجهود الضخمة التي كان يبذلها كل من المسلمين والصليبيين من ناحية الاستعدادات للعمليات الحربية واستماتة كل من الفريقين في القتال .

٢ – كان ابن الأثير يسمي الصليبيين باسم الفرنج ولم يطلق عليهم اسم الصليبيين ، وقد استخدم هذا التعبير لكي يميز الصليبيين عن باقي أبناء الديانة المسيحية إذ كان يسميهم بالنصارى ، فأطلق اسم النصارى على كل من يدين بالنصرانية في المشرق الإسلامي بينما أطلق اسم الفرنج على كل النصارى القادمين من الغرب الأوربي لمساندة نصارى المشرق في حربهم للمسلمين .

٣ – وبحكم علاقة ابن الأثير وأسرته بالزنكيين في الموصل والجزيرة فقد جاءت معلوماته تمجيداً لهذه الأسرة وثناءاً عليها ، ونقداً لإعدائها ، إذ يكثر من المديح والثناء على عماد الدين زنكي ويصفه بالشهيد ، وكذلك يمدح كثيراً ابنه نور الدين محمود بينما ينتقد صلاح الدين الأيوبي ويلقي ضلالاً من الشك والريبة على أفعاله وتصرفاته ، ويفسر

الأحداث و الأوضاع في عهده تفسيرات ماكرة ، ولكنه يضطر مرغماً على الاعتراف بالنجاحات والانتصارات الباهرة التي حققها صلاح الدين في معركة حطين وفتح بيت المقدس .

٤ – أن المؤرخ ابن الأثير كان متطرفاً في نزعته الزنكية ، بل يمكن القول انه كان يمثل وجهة النظر الزنكية الاتابكية المخالفة للوجهة الأيوبية ومؤيديها من المؤرخين ، فيما يخص العلاقة بين الزنكيين وصلاح الدين ورؤية أحداث الحروب الصليبية وملابساتها ، إلا أنه يعتبر مصدر مهم في وصف الحروب الصليبية وسرد أحداثها ، ومؤرخاً رئيسياً لتلك الحقبة الزمنية من التاريخ الإسلامي .

الهوامش :

ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : أحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ، م٣ ، ص ٣٤٨ .

السامر ، فيصل ، ابن الأثير ،(بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨٣ م) ، ص ١١ .

قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر ، المعروف بالأعرج صاحب الموصل ، تولى السلطنة عقيب موت أخيه الأكبر سيف الدين غازي ، وكان حسن السيرة ، عادلاً في حكمه ، توفي في شوال سنة ٥٦٥ هـ . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

هو الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر ، ولد بحلب سنة ٥١١ هـ / ١١١٨ م وقد انتقلت ملكيتها إليه بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، دافع أولاً عن دمشق ضد الحملة الصليبية الثانية في سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م ، ثم أضافها الى ممتلكاته صلحاً سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م ، وقد امتدت مملكته حتى شملت جميع بلاد الشام والموصل ، وديار بكر والجزيرة ومصر ، وجانباً من اليمن ، توفي بعلة الخوانيق سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٣ م . ينظر : ابن الأثير ، علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر احمد طليمات ، (القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٣م) ، ص١٦٠ – ١٦٢ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ١٨٤ – ١٨٧ .

ابن الأثير ، التاريخ الباهر ، ص ٢٧٠ .

جزيرة ابن عمر : مدينة صغيرة تقع على غربي دجلة ، سميت بذلك نسبة الى الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي وكانت قبل ذلك تعرف بجزيرة الأكراد ، وسميت بالجزيرة لأن الماء يدور حول البلد من ثلاث جوانب ، فتحيط بها مثل الهلال . ينظر : ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ، صورة الأرض ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، ١٩٩٢ م) ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ؛ ، ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٥ م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق : يحيى زكريا عبارة ، (دمشق : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٨م) ج ٣ ، ق ١ ، ص ٢١٣ .

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٣ ، ص ٣٤٩ ؛ السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (٧٧١ هـ / ١٣٦٩م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) ، ج ٤ ، ص٤١٢ .

أكبرهم مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) ، برع في علوم الدين واللغة ، وله مصنفات منها كتاب الأنصاف في تفسير القرآن ، وكتاب النهاية في غريب الحديث ، وأصغرهم ضياء الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني (٥٥٨ – ٦٣٧ هـ) ، الذي سلك طريق الأدب ، وله كتاب مشهور في البلاغة هو المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وايضاً له الوشي المرقوم في حلّ المظلوم .

راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٤ ، ص ١٤١ – ١٤٣ ، م ٥ ، ص ٣٨٩ – ٣٩٧ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٤٥٣ .
أرناؤوط ، عبد اللطيف ، ابن الأثير الجزري ، مجلة التراث العربي ، العدد ٤٩ ، (دمشق ، ١٩٩٢ م) ، ص ١٥٣ .
(١٠) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص٤١١ – ٤١٢ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص٤١١ – ٤١٢ ؛ ابن الأثير ، علي بن محمد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عبد الله القاضي ، ط ١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م) ، ج١٠، ص ٢٦٧ .
(١٢) راجع : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٣ ، ص ٣٤٨ ؛ ابن كثير ، أسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ /١٢٧٥ م) ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، ط١ (القاهرة : دار هجر ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م) ، ج ١٣ ، ص١٤٥ – ١٥٠ ؛ الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م) ، ج٢٢ ، ص ٣٥٣ – ٣٥٦ ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، ط١ (بيروت : دار أبن كثير ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ،ج٧ ، ص ٢٤١ .
(١٣) الخالدي ، أنور ، منهج الكتابة التاريخية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي : ابن الأثير أنموذجاً ،مجلة المنارة ،م ١٥ ،العدد ١،ص ١٤٠ .
(١٤) عبد القادر احمد طليمات ، مقدمة التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، ص ١٣ .
(١٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٣ ، ص ٣٤٩ ؛ السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٤١٢
(١٦) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، ص ٣ .
(١٧) جعبر : قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين ، وكانت قديماً تسمى دَوسر ، وكان يملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك . ينظر : الحموي ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، معجم البلدان ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ، م ٢ ، ص ١٤٢.
(١٨) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٧٨ .
(١٩) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، ١٤٧ .
(٢٠) الملك القاهر عز الدين أبو الفتح مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، ولد سنة ٥٩٠ هـ بالموصل ، وتوفي سنة ٦١٥ هـ . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .
(٢١) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٢ – ٣ ؛ السامر ، ابن الأثير ، ص ١٤٧ .
(٢٢) زكار ، سهيل ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، (دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٥م) ، ج ١٤ ، ص ٦٢٥٦ .
(٢٣)جب، هاملتون ، التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى ، (دمشق : المركز العربي للكتاب ، د. ت)ص ٢٩
(٢٤) علي ، فيصل بجاش ، التيارات الفكرية في بلاد الشام ودورها في مواجهة الحروب الصليبية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (دمشق : مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ٢٠٠٧ م) ، ص ١٨ .
(٢٥) أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب ، مؤسس دولة الاتابكة في الموصل وحلب ، له حروب ووقائع مشهورة مع الصليبيين ، وقد كان ملكاً شديد الهيبة على عسكره ورعيته ،

عظيم السياسة ، توفي سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، وهو محاصراً لقلعة جعبر ، وقد زاد عمره على ستين عاماً ، ودفن بالرقة . ينظر : ابن الأثير ، الباهر ، ص ٧٤ وما بعدها ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٣٩ – ٣٤١ ؛ أبو شامة ، عبد الرحمن بن أسماعيل المقدسي الدمشقي (٦٦٥ هـ / ١٢٦٥ م) ، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : أحمد البيسومي ، (دمشق : دار أحياء التراث العربي ، ١٩٩١ م) ، ج ١ ، ص١٩٥ – ١٩٧ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٧ .

(٢٦) أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها ، وهو مؤسس الدولة الأيوبية ، وله حروب كثيرة مع الإفرنج ، ولد سنة ٥٣٢ هـ بقلعة تكريت وتوفي سنة ٥٨٩ هـ بدمشق . ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٧ ، ص ١٣٩ ومابعدها .

(٢٧) راجع : ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٨ – ٤٠ ، ٨٦ – ٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٢٥٤ ، ٣٣١ – ٣٣٢ ، ٣٤٨ ، ج ١٠ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ ، ١٥٥ .

(٢٨) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ١٣ ومابعدها ، ص ٨٤ ومابعدها ، ص٢٢١ – ٢٢٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٣٧٥ ، ج ١٠ ، ص ٤ – ٥ ، ١٥ ، ٣١ – ٣٧ ، ١٥٤ – ١٦٨ ، ٢٨٨ - ٢٩١ ؛ أرناؤوط ، ابن الأثير الجزري ، ص١٥٤ .

(٢٩) ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص١٣ – ١٩ ، ٢٩ ، ٤٣ ، ٦٧ ومابعدها ، ج١٠ ، ص١٥٤ – ١٦١ ، ١٦٩ – ١٧٨ ، ١٨١ ومابعدها ، ٤٨١ ؛ سعد الدين ، عبد الرحيم حسين ، إقطاعية حيفا ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي (٤٩٣ – ٦٩٠ هـ / ١١٠٠ – ١٢٩١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (نابلس : جامعة النجاح الوطنية / كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٤ م) ، ص٣ ؛ حسين ، محسن محمد ، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين ، (اربيل : مطبعة دار ئاراس ، ٢٠٠٣ م) ، ص ١٦ – ١٧ .

(٣٠) أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، الملقب مغيث الدين ، احد الملوك السلجوقية المشاهير ، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٥١٢ هـ في خلافة المستظهر بالله ، وهو يومئذ في سن الحلم ، وكان متوقداً ذكاء ، قوي المعرفة بالعربية ، حافظاً للإشعار والأمثال ، عارفاً بالتواريخ والسير ، شديد الميل الى أهل العلم والخير . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٣١) الأتابك : لقب تركي مؤلف من (أتا) بمعنى الأب أو الشيخ المحترم ، و(بك) بمعنى الأمير ، والمعنى العام : الأمير أو الوالد ، وقد أطلق أصلاً على مماليك السلاجقة الذي أسندت إليهم مهام الدفاع عن البلاد ، وتربية الفتيان السلاجقة ، والنيابة في الحكم عن أمرائهم ، الى جانب خدمة أسيادهم ، ثم أصبحوا هم أنفسهم الحكام . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ الشهابي ، قتيبة ، معجم ألقاب أرباب السلطان في الدول الإسلامية ، (دمشق: وزارة الثقافة ، ١٩٩٥ م) ، ص ١٦ .

(٣٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٨ ؛ السامرائي ، خليل إبراهيم وآخرون ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، ط ٢ (الموصل : دار الكتب ، ١٩٨٨ م) ، ص ٣١٣.

(٣٣) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٤ ؛ زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه: زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ، (بيروت : دار الرائد

العربي ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، ص ٥٣ .
(٣٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤٣ .
(٣٥) ن . م ، ج ٩ ، ص ٢٤٣ .
(٣٦) السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣١٤ .
(٣٧) السامر ، ابن الأثير ، ص ٢٥ .
(٣٨) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، أغلب أهلها من النصارى ، تقع عند منابع أحد روافد نهر البليخ العليا ، في أقصى الغرب من الجزيرة الفراتية ، وهي أحدى الأمارات الصليبية الأربعة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٣ ، ص ١٠٦ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٨٣ – ٨٦ ؛ ليسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط١ (بغداد : مطبعة الرابطة ، ١٩٥٤م) ، ص١٣٤ - ١٣٥ ؛ هونكمان ، " مادة الرها " ، دائرة المعارف الاسلامية ، يصدرها باللغة العربية : أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس ، مراجعة : محمد مهدي علام ،(القاهرة : د.مط ، ١٩٣٣ م) ، م ١٠ ، ص ٢٦٦ – ٢٨٠ .
(٣٩) تل باشر : قلعة حصينة ، وكورة واسعة في شمالي حلب ، بينها وبين حلب يومان ، وأهلها نصارى وأرمن ، ولها ربض وأسواق ، وهي عامرة آهلة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٤٠ ؛ ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة ، ج ١، ق ٢ ، ص ١٢
(٤٠) معرة النعمان : وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٥ ، ص١٥٦ .
(٤١) راجع : ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٥ - ٢٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص١٥٣ ، ٣٣٩ – ٣٤١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٧ – ٣٢٨ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣١٣ .
(٤٢) أمد : تقع على جبل من غربي دجلة مطل عليها ، كانت تعد قصبة ديار بكر . ينظر: ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٠١ ؛ ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٠ .
(٤٣) نصيبين : وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام . ينظر : ياقوت الحموي،معجم البلدان ،م ٥ ،ص ٢٨٨ .
(٤٤) رأس العين : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،م ٣ ،ص ١٤ .
(٤٥) الرقة : وهي قاعدة بلاد مضر ، تقع على ضفة نهر الفرات من الناحية الشرقية ، وهي فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات . ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٢٠٣ ، ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٣٢ .
(٤٦) حرَّان : بتشديد الراء ، وآخره نون ، وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أَقور ، وهي قصبة ديار مُضر ، بينها وبين الرّها يوم وبين الرَّقةّ يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والجزيرة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٣٥ .
(٤٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٢ - ٣٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٥٤ .
(٤٨) السامر ، ابن الأثير ، ص ٢٥ .
(٤٩) راجع : ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ ؛ خليل ، عماد الدين ، عماد الدين زنكي حياته وأعماله السياسية ونظمه العسكرية ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد : كلية الآداب ، ١٩٦٥ م) ، ص ٣٧ .
(٥٠) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٧ .
(٥١) خليل ، عماد الدين زنكي ، ص ١٥٠ – ١٥١ .
(٥٢) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٧ .

(٥٣) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ص ٣٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٥٤) حصن الأثاربُ : وهي قلعة معروفة بين حلب وإنطاكية ، بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ . ينظر : ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، م ١ ،ص ٨٩ .

(٥٥) يقصد ابن الأثير بالشهيد عماد الدين زنكي .

(٥٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٣٩ - ٤٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص٢٥٤ .

(٥٧) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٣١ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية،ص ٣١٦– ٣١٧ .

(٥٨) يقصد به ابن الأثير عماد الدين زنكي ايضاً ويستعمله في تاريخه الكامل أما في الباهر فهو يسميه بالشهيد كما ذكرنا .

(٥٩) الاراتقة : عائلة تركية تنتمي الى جدها أرتق بن أكسب ، الذي قدم وعشيرته مع السلاجقة واثر كثيراً في تثبيت أركان دولتهم أيام السلطان ملكشاه (٤٦٥ – ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ – ١٠٩٢م) فولوه وأبنائه عدد من المناصب العسكرية والإدارية في العراق والشام وفلسطين ، وانتهى الأمر بولديه سقمان وايلغازي الى الاستقرار في ديار بكر من الجزيرة الفراتية في أواخر القرن الخامس الهجري ، وقد لعب الاراتقة دوراً خطيراً في مجرى العلاقات مع الصليبيين والمماليك والمغول ، فضلاً عن العباسيين والسلاجقة كما أسهموا في النمو الحضاري للإقليم ، وكان سقوط أخر أماراتهم على يد دولة الخروف الأسود عام ٨١٢هـ / ١٤٠٩ م . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ١ ، ص ١٩١ ؛ بوزورث ، كليفورد ، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة: حسين علي اللبودي ، مراجعة : سليمان أبراهيم العسكري ، ط ٢ (الكويت : مؤسسة الشراع العربي ، ١٩٩٥ م) ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٦٠)ابن الأثير،الكامل،ج ٩،ص٣٣١ .

(٦١) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٣١ – ٣٣٢ .

(٦٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٦٣) خليل ، عماد الدين زنكي ، ص ١٥٣ – ١٥٤ .

(٦٤) راجع : ابن الأثير ، الباهر ، ص ٧٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص٣٣٩ – ٣٤٠ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٦٥) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٨٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٤١ ، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص ٥٣ .

(٦٦) ابن الأثير ، الباهر ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ٩٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص٣٤٨ ؛
ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٦٧) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٠٧ – ١٠٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٩٨ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ١٨٤ .

(٦٨) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص ١١ - ١٦ ؛ ابن خلكان وفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ١٨٥ .

(٦٩) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٥٢ - ١٥٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص ٢٩ .

(٧٠) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص ٣٥ – ٣٦

(٧١) ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٦١ – ١٦٣ ، ١٧٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص٥٥– ٥٨ .

(٧٢) حطين : قرية بين أرسوف وقيسارية ، وبها قبر شعيب (عليه السلام) ، وبينها وبين طبرية نحو فرسخين . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٧٣) ينظر : ابن الأثير،الكامل ،ج ١٠، ص ١٤٥ – ١٤٦ ؛السامرائي وآخرون، تاريخ الدولة العربية،ص ٣٤٤ .

(٧٤) جاليشية : الأصل في معناها هو الراية العظيمة التي في رأسها خصلة من شعر الحصان ثم أطلقت على مقدمة القلب في الجيش على الطليعة منه . ينظر :القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح

الأعشى في صناعة الانشا ، (القاهرة : المطبعة الأميرية ، ١٩١٧ م) ، ج٤ ، ص٨ ؛ أيوب ، إبراهيم ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ط ١ (بيروت : دار الكتاب العالمي ، ١٩٨٩ م) ، ص ١٩٦ .

(٧٥) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص ١٤٧ – ١٤٨ ؛ وقارن بابن خلكان ، وفيات الأعيان ، م ٧ ، ص ١٧٤ – ١٧٦ .

(٧٦) راجع : ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠، ص ١٤٩ – ١٥٢ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٤٥

(٧٧) ابن الأثير ، الكامل ، ، ج ١٠ ، ص ١٥٥ – ١٥٦ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ الدولة العربية ، ص٣٤٥ .

(٧٨) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٥٨ .